تغريب المنظومة اللغوية العربية

أ.م.د.خيري جبير الجميلي

كلية التربية للبنات-جامعة الأنبار

Westernization of Arabic Language System

By/Asst.Prof.Dr

Khairi Jubair Al-Jumaili

University of Anbar

College of Education for Women

الملخص

يتناول هذا البحث مصطلح: (التغريب) من حيث الجانب اللغوي في اللغة العربية، وقد أقيم على محاور ثلاثة؛ أولها: علاقة العرب بالفكر الغربي، وثانيها: تيار التغريب مفهوما وحقيقة، وثالثها: مظاهر التغريب في المنظومة اللغوية العربية، وهذا المحور الأخير هو لبُّ البحث، وفيه مسائل ثلاث هي: (الكتابة بالخط اللاتيني) و(تيسير العربية) و(الدعوة إلى العامية). وقد توصل البحث إلى نتائج مهمة تتمثل في: – التبشير والاستشراق وسيلتان استعماريتان موجهتان في الأساس إلى لغة الأمة ومعتقداتها الإسلامية؛ – خطر مسمى (الثقافة العالمية) أو(الفكر الأممي) على ثقافة الأمة وتراثها، – خطر (الدعوة إلى العامية) على وحدة الأمة وتماسكها لغة واعتقادا.

Abstract

This paper deals with the term "Westernization" in the Arabic language which is built upon three axis. The first one represents the Arab's relation with the western thought. Secondly, the trend of Westernization is as a concept and fact. Thirdly, it is concerned with the manifestations of westernization in the Arabic language system and this is the last axis of this paper and it includes three issues: writing in Latin script, facilitating Arabic, and the invitation to colloquialism. This paper has indicated the important results of: Evangelization and orientalism as two colonial means directed to the language and religion of the nation. A danger called global culture or international thought on the culture of the nation is implicitly shown. Also, the danger of calling the vernacular on the unity of the nation in its language and religion.

مقدمة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، ومن اتبع هديه، وبعد؛ فإنَّ التغريب من المصطلحات التي شاعت في زماننا الحاضر، وقد شغل مساحة من اهتمام الباحثين في الثقافة العربية المعاصرة، وهو مخطط تخريبي شامل للمنظومة الاجتماعية والأخلاقية، وهو سلاح فتاك يهدف إلى ضرب مرتكزات الثقافة العربية الإسلامية ممثلة بكتابها الخالد (القرآن الكريم).ولما عرف تيار التغريب أن هذا الكتاب محفوظ من الله تعالى وجه سهامه إلى عوامل أخرى؛ ليصد بها المسلمين عن هذا الكتاب العزيز، وتتنوع هذه العوامل في مجالات: اللغة، والحياة الأسرية للمجتمعات الإسلامية، ولاسيما العربية منها، والتقاليد، والأعراف، وسوى ذلك. ليس من أهداف هذه الدراسة أن تبحث في مجالات التغريب العامة، كالتربية والأخلاق والمظاهر الاجتماعية والأفلام الهابطة والفن والملابس وسوى ذلك ... بل تركز في جانب تخصصي محدد في (تغريب المنظومة اللغوية)، وهو موضوع قديم جديد؛ لأنه يتعلق بهوية الأمة في حاضرها وماضيها، ويقتضي منا تضافر الجهود في هذا السبيل.وقد تناولت هذا الموضوع في محاور ثلاثة، اختص

المحور الأول بالكلام على (العرب والفكر الغربي)، وفيه تمهيد تأريخي لصلة العرب بالفكر الغربي في العصر الحديث، وتناولت في المحور الثاني (تيار التغريب)، بينت فيه مفهومه، وحقيقته، وشيئا من تأريخه ورجالاته، وأما المحور الثالث؛ فقد خصصته بالكلام على (المنظومة اللغوية) ومظاهر التغريب فيها، وقد حصرت هذه المظاهر في ثلاث نقاط هي: الكتابة بالخط اللاتيني، وتيسير العربية، والدعوة إلى العامية، ثم ختمت هذه الدراسة بأهم النتائج التي توصلت إليها، والله سبحانه من وراء القصد.

العرب والفكر الغربي:

تأثر العرب في العصر الحديث بالفكر الغربي الوافد إليهم مع الغزو، وذلك في سائر أحوالهم الحضارية والفكرية؛ إذ أصيب المجتمع العربي خاصة والإسلامي عامة بهزيمة نفسية قبل كل شيء أمام الحضارة الغربية المنتصرة، وهذا ما جر إلى أن يقلد العرب الغرب، جريا على سنة تقليد المغلوب للغالب، ويلخص لنا هذا الوضع ابن خلدون بقوله: ((إن المغلوب مولع بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه وسائر أحواله وعوائده، والسبب في ذلك أن النفس أبدا تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه)).[1] ولما فشل الاستعمار في تحقيق أهدافه جميعا عن طريق القوة العسكرية وحدها، أخذ يصوب سهامه إلى تراث الأمة ولغتها ودينها ومقوماتها الفكرية والحضارية عن طريق اتخاذ وسيلتين هما: (التبشير) و (الاستشراق).ومما لا ريب فيه ((أن هذا الاستشراق كان طليعة الاستعمار الأوربي للعالم الإسلامي، وأنه كان طليعة غير مسلحة بالأسلحة التقليدية، كالبندقية والمدفع، بل بأسلحة تتفوق عليهما في أساليب الفتك، وآثار الدمار، وأعني بذلك دقة التخطيط ومهارة الكيد والتآمر، ... لقد كانت مهمة (الاستشراق) في أكثر أحواله أن يرسم للدول الأوربية كيفية التهام أقطار العالم الإسلامي، وازدرادها قطعة قطعة، عن طريق دراسة أحوال شعوبها، ولغاتها، وعاداتها، وتقاليدها، ومواطن القوة والضعف في بنائها، وكيفية التغلب على عناصر القوة، وكيفية استغلال عناصر الضعف في تقويض وجودها، وهكذا جاء الاستشراق إلى الوطن العربي)).[2] والحق ((أن مخططات السيطرة _ عسكرية وسياسية _ لم تكن موقوفة بمرحلة معينة، ولكنها كانت فقط مقدمة لحركة الاستيعاب والاحتواء والضم الكامل؛ إذ لا يتم الاحتواء إلا بحركة غزو فكري وحضاري يتيح لها إذابة الحضارات والثقافات في بوتقتها وفي مقدمتها الحضارة الإسلامية والثقافة العربية، والهدف هو تحويل المسلمين العرب إلى ولاء أساسي للفكر الغربي والحضارة الغربية)).[3] ولم ولن يتم لهم ما يريدون ما دام القرآن يقرأ بلغة عربية حية تستمد قوتها من طابعها المقدس، بوصفها لغة الكتاب العزيز، يقول بروكلمان : ((بفضل القرآن بلغت العربية من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أي لغة من لغات الدنيا، والمسلمون جميعا مؤمنون بأن العربية وحدها اللسان الذي أحل لهم أن يستعملوه في صلواتهم، وبهذا اكتسبت العربية منذ زمن طويل مكانة

رفيعة فاقت جميع لغات الدنيا الأخرى)).[٤] ويؤكد نولدكه هذا المعنى بقوله: ((بالرغم من نظرة أمثالنا الغربيين إلى القرآن من حيث الوحي؛ فإننا على ثقة من أن كل كلمة فيه وكل حرف منه هو اليوم كما كان في أيام محمد)). ويقول جاك بيرك: ((لقد ظل القرآن دائما برغم الدعوة إلى دراسة الشعر الجاهلي أعظم نصوص اللغة)).[٥] وقد استغل هذا العدو جمود التعليم الإسلامي التقليدي في جميع بلدان العرب و المسلمين خلال القرون: السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر الميلادية، فدلفوا إلى التعليم من هذه الجهة، جهة تطوير التعليم وتأسيس مدارس جديدة، فأسسوا مدارس للتبشير بدعم عالمي من الدول الاستعمارية؛ لتنشئ من أبناء المسلمين أجيالا تتحلل من دينها وعقيدتها وأخلاقها ولغتها وتراثها، وهذا ما أفصح عنه المبشر (تكلي) بقوله: ((يجب أن نشجع المدارس ذات النمط الغربي العلماني؛ لأن كثيرا من المسلمين قد زعزع اعتقادهم بالإسلام والقرآن، حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية وتعلموا اللغات الغربية)).[٦] وقدم دنلوب مساهمة عملية في تنفيذ منهج تعليمي تربوي استعماري خطير هدفه تغريب التعليم والتربية والقضاء على اللغة العربية، وتضمنت خطته أمرين:[٧] العمل على حرب اللغة العربية والإسلام والأزهر والمعلم العربي والإسلامي. نشر لواء اللغة الإنكليزية وتأهيلها للسيطرة الكاملة على شؤون التعليم، وبذلك أمكنه القضاء على نفوذ اللغة العربية.من هنا دأب الاستعمار في مجال الغزو الفكري على التركيز في ثلاثة عوامل مهمة، هي:[٨]

١. تحريف القيم الأساسية للفكر الإسلامي والثقافة العربية بما يضعف عامل المقاومة للاستعمار.

٢. تحريف التأريخ بحسبانه ذاكرة الأمة الدافعة لها إلى العمل.

٣. إضعاف اللغة وتغليب اللهجات العامية والإقليمية عليها وتشجيعها.ويمثل العامل الثالث المرتكز الأساسي الذي انتهجه الاستعمار بغية تخريب هوية الأمة العربية الإسلامية، ألا وهي اللغة العربية، بوساطة تغريبها، وذلك عن طريق دعوات خبيثة هدامة، تحاول النيل من هذه اللغة الكريمة.

تيار التغريب:

التغريب : ((هو حركة موجهة لصبغ الثقافة الإسلامية والعربية بصبغة غربية وإخراجها عن طابعها الإسلامي الخالص، واحتوائها على النحو الذي يجعلها تفقد ذاتيتها وكيانها، وتذوب فيما يسمى بـــ ''الثقافة العالمية'' أو ''الفكر الأممي''))[٩]. تمتد جذور التغريب في تأريخها إلى عهد سابق، وذلك حين بدأت الحركة الأوربية الغربية زحفها باتجاه دول العرب والمسلمين تحت مسمى الاستعمار، بغية إحكام قبضتها عليها. والتغريب حركة كاملة البناء، له نظمه ووسائله وأهدافه، وقادته، ودعاته، وهو يعتمد على وسائل متعددة، كالأدب، والإعلام، والصحافة، ودور الثقافة، والمدارس والجامعات، ويهدف عبر هذه الوسائل كلها إلى إثارة الخلافات والخصومات بين العرب والمسلمين، ومحاولة رد التراث العربي والإسلامي إلى الفرس والهنود واليونان، ولا عجب أن يهتم

التغريب بدراسة ما قبل الإسلام وإحيائه بصور شتى، كصور الفرعونية والوثنية والجاهلية والفارسية والمجوسية القديمة...إلخ، كما يسعى إلى تمزيق وحدة الفكر العربي والإسلامي بعزل الأخلاق عن التربية، والدين عن الأدب، والسياسة عن الدولة، فضلا عن نشر الإلحاد والإباحية، والدعاية لهما؛ لأن الإنسان إنما يكون له وجوده وشخصيته بمبدئه الذي يعتقده وبقيمه التي يؤمن بها، فإذا ضاعت هذه المبادئ والقيم انهار الإنسان الذي هو نواة المجتمع.وبفعل الزخم الإعلامي الوافد والواقع العربي المعقد اكتسب دعاة التغريب بريقا في عصر "صناعة النجوم" لكنهم لم يكتسبوا شرعية رغم كتائبهم المدججة بالمال، فلم تتبلور لهم ملامح ولم تتحدد لهم قسمات، فلقد ظلوا _بالرغم مما يملكون من قوى مادية وظهور إعلامي_ يشعرون بغربة في المسافة وضيق في المكان، فصبوا جام غضبهم على التراث، ودعوا إلى القطيعة بين الإنسان في حضارتنا وبين انتمائه إلى هذا التراث، فهذا سلامة موسى يقول: ((كلما ازددت خبرة وتجربة وثقافة توضحت أمامي أغراض الأدب كما أزاوله، فهي تتلخص في أنه يجب علينا أن نخرج من آسيا ديانة، وأن نلتحق بأوربا، فإنني كلما زادت معرفتي بالشرق زادت كراهيتي له وشعوري بأنه غريب عني ... وكلما زادت معرفتي بأوربا زاد حبي لها، وتعلقي بها، وزاد شعوري بأنها مني وأنا منها ... فأنا كافر بالشرق مؤمن بالغرب)).[١٠]وهذا عينه ما دعا إليه طه حسين في معظم كتاباته، ولاسيما في كتابه (مستقبل الثقافة في مصر)؛ إذ يقول((إن سبيل النهضة واضحة مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء، وهي أن نسير سير الأوربيين ونسلك طريقهم؛ لنكون لهم أندادا، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يحب منها وما يكره، وما يحمد وما يعاب)).[١١]

تستهدف الدعوات الهدامة للتغريبيين غايتين:[١٢]

تفريق المسلمين عامة، والعرب خاصة، بتفريقهم في الدين، وتفريقهم في اللغة، وتفريقهم في الثقافة، وقطع الطريق على توسع اللغة العربية المحتمل بين مسلمي العالم، حتى لاتتم وحدتهم الكاملة.قطع ما بينهم وبين قديمهم، والحكم على كتابهم وكل تراثهم بالموت؛ لأن هذا القديم المشترك هو الذي يربطهم، ويضم بعضهم إلى بعض.

المنظومة اللغوية:

اللغة ركيزة أساسية من الركائز التي تستند عليها الأمم في نهوضها الحضاري بوصفها مقوما مشتركا بين أبنائها، ويتأكد هذا الأمر إذا ارتبطت بتراثها ودينها، على النحو الذي نراه في اللغة العربية، فلولا أن القرآن العظيم أنزل بلسان عربي مبين لما كان هناك من جنس يدعى الجنس العربي، ((إن القرآن الكريم هو الذي يحفظ اللغة العربية، وليست اللغة العربية هي التي تحفظ القرآن))[١٣]، وحفظت العربية من ثَمَّ على العرب عروبتهم، ولو لم يكن الأمر كذلك لاستلحقتها الأمم الأخرى، جريا على ناموس السنن المتمثل بقانون الغالب والمغلوب.

تمثل اللغة العربية أخطر ميادين تيار التغريب؛ لأنها لسان الوحي المبين، فإذا تمكن التغريبيون من فصل اللغة عن القرآن ابتعد حينئذ المسلمون عن كتاب ربهم، وأصبح القرآن محو أثر يقرأ في الأماكن والمناسبات الدينية، كما هو الحال عند النصارى وغيرهم، ولهذا كان الفكاك من سلطان اللغة العربية يمثل الطريق الرئيس للتيار التغريبي بغية السير في المعاصرة.وقد أدرك الاستعمار الفكري دور اللغة العربية وأثرها في حياة الأمة العربية والإسلامية، وهو دور يفوق الوظيفة التعبيرية ((فاللغة تمثل روح الشعب الذي يتكلمها، فالأمة تنشئ اللغة على مثالها، وتودع فيها سر عبقريتها، وخصائصها، ومناهجها، وطرائق تفكيرها، وفلسفتها، ودينها، ونظرتها إلى نفسها والعالم المادي والروحي))[١٤]؛ لذا شن حربه الضروس على اللغة العربية، فوضع مخططا بالغ المكر والكيد، لغزو العرب والمسلمين عن طريق التعليم المنهجي، والتثقيف العام غزوا فكريا وخلقيا وسلوكيا خطيرا ينسخ شخصيتهم الإسلامية نسخا كاملا ويقيم بدلها شخصية أخرى تتلاءم مع شخصية الغازي نصرانيا كان أو يهوديا أو ملحدا أو مشركا.[١٥] إذا علمنا ذلك فهمنا عندئذ مقدار الهجمة الشرسة على لغة القرآن، وعلمنا أيضا سبب العداء المستعلن الذي يظهره نفر من قومنا لهذه اللغة وتراثها، وكما يقال: فاقد الشيء لا يعطيه، فإن نفرا من هذه الأمة يجرون في تيار التغريب من غير أن يشعروا بذلك؛ لأنهم فقدوا الإحساس بلغتهم فتبلدوا، ويزيد الطين بِلَّة أن أولئك محسوبون على طبقة قادة الفكر والثقافة والتعليم ممن درس في جامعات الغرب، أو ممن درس وتخرج بهم، فبدؤوا يهزؤون بلغتهم وتحجيمها وإلغاء تدريسها في مراحل التعليم الجامعي، اللهم إلا في سنة واحدة أو في فصل واحد.إن الانجرار باتجاه التيار التغريبي للمنظومة اللغوية العربية من خلال دعاوى التغريب دليل واضح على هول الصدمة وشدة وقعها، صدمة الانبهار بالحضارة الغربية، تلك التي ما زالت رواسبها في فكرنا الثقافي إلى الآن.وكل من شدا طرفا من علم اللغات يقر أن هناك خصائص ثقافية لكل أمة من الأمم، ويقضي ذلك بأن تكون ثمة خصائص لغوية لكل لغة من اللغات تنفرد بها عن اللغات الأخرى، ومن ثم فما ينطبق على لغة معينة ليس بالضرورة أن ينطبق على لغة أخرى ، ومن هنا أصبح من البديهي أن لكل لغة فقها خاصا تمتاز به من فقه لغة أخرى، مع الأخذ بالحسبان أن هناك خصائص مشتركة تجمع بين اللغات _من حيث كونها ظاهرة إنسانية_ ميدانها (علم اللغة العام).وما زالت مظاهر التغريب تحاول النيل من المنظومة اللغوية العربية إلى وقتنا الحاضر، فهذا مدع يلقي في روع متعلمي اللغة العربية أنها صعبة التعلم؛ لصعوبة قواعدها، ومن هنا دعا إلى إبعادها عن ميدان العلم؛ لأنها لا تصلح أن تكون لغة للعلم الحديث، وآخر يدعو إلى تسهيل إملائها، وآخر يدعو إلى استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية.افتتن جمع من مثقفي العرب في عصرنا الحاضر بالحضارة الغربية الوافدة، ورأوا أن اللغة العربية عائق يحول بينهم وبين هذه الحضارة، فدعوا إلى تطوير العربية في منظومتها للخلاص من صعوبتها،

ويمكن أن نتلمس هذا الأمر في كتابات أحمد زكي أبو شادي،[١٦] وطه حسين.[١٧] اتبع الغزو الغربي وسائل عدة لتغريب منظومة اللغة العربية، من أجل حرمان الشعب العربي وشعوب الأمة الإسلامية من حق استعمال اللغة العربية والتفكير بوساطتها، ومن هذه الوسائل:

أ_ الكتابة بالخط اللاتيني: الخط ((علم يتناول كافة القواعد المستخدمة في التعبير الخطي للكلام))١٨، ومن المقرر عند علماء اللغة ((أن الوحدة الخطية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالوحدة الصوتية؛ إذ إنها هي التعبير الرمزي لها، ومن ثَمَّ فإن الوحدة الخطية دلالة فونيمية، أي أن استبدال وحدة خطية بأخرى تغير المعنى، بل إن لبعض الوحدات الخطية دلالة صرفية وأخرى لها دلالة نحوية)).١٩ تمثل الدعوة إلى استعمال الحروف اللاتينية في كتابة العربية خطرا داهما على لغة القرآن الكريم، تولى كبره مبشرون ومستشرقون جاءوا مع الاستعمار، فكانوا عينه التي يبصر بها، وأذنه التي يسمع بها، وساهم هؤلاء في تربية خلفاء لهم من بني جلدتنا ممن أعمى الله بصائرهم، وعرفوا من بعد بـ (المستغربين).فما كاد (ولمور) _القاضي الإنكليزي في محكمة الاستئناف في القاهرة_ يدعو إلى كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية، حتى أخذ سلامة موسى هو الآخر يدعو إلى الكتابة بالحرف اللاتيني أيضا، وقد ساق جملة من الشبهات حول دعوته هذه، منها: ((أننا عندما نكتب بالحرف اللاتيني نقترب نحو التوحيد البشري؛ فإن هذا الخط هو الوسيلة الوحيدة للذين يملكون الصناعة، وحين نصطنع الخط اللاتيني يزول الانفصال الذي أحدثته هاتان الكلمتان المشؤومتان: الشرق والغرب، ثم يجب أن لا ننسى أن الخط اللاتيني لا يكلفنا في تعلمه عشر الوقت الذي نقضيه في تعلم الخط العربي، وربما أقل ؟!)).٢٠ ويضيف قائلا: ((والواقع أن اقتراح الخط اللاتيني هو وثبة إلى المستقبل، لو أننا عملنا به؛ لاستطعنا أن ننقل مصر إلى مصاف تركيا التي أغلق عليها هذا الخط أبواب ماضيها، وفتح لها أبواب المستقبل)).٢١ وإن تعجب فعجب ذلك المشروع الذي تقدم به عبد العزيز فهمي باشا إلى مجمع اللغة العربية في سنة ١٩٤٥م، والذي دعا فيه إلى (كتابة العربية بالحروف اللاتينية)، وقد رد أهل العلم ما أتى به، وكان من أبرزهم العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر، وأخوه الأستاذ محمود محمد شاكر.٢٢ومن الواضح مدى ارتباط الداعين إلى استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية بمخططات التبشير وتوجهاته وأغراضه ومراميه.وجاء مصطفى أتاتورك _ المصنوع على أعين الاستعمار _ فحمل الناس في تركيا ما حملهم عليه من الأضاليل، وكان من جملة ما ساسهم به من الأضاليل استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية، وتقويض الدروس الشرعية، واستبعاد لغة الضاد من ميدان التعاملات الرسمية٢٣، ((ولعل الزائر لتركيا الآن يرى إلى أي حد تحققت آمال هذا المغامر الحاقد على الإسلام والعربية، فإن تركيا لم تحقق من وراء هذه الحركة أي هدف، فلا هي لحقت فعلا بالبلدان الأوربية في مستواها الحضاري، ولا هي أبقت على وشائجها بالوطن العربي والعالم الإسلامي، إن

محاولة (أَوْرَبَة) تركيا لم تسفر إلا عن وضع ملفق خليط من أصباغ وألوان أوربية، على حين بقيت النزعة الإسلامية تتلمس التعبير عن نشاطها)).٢٤ وبعد هذا الذي أصاب الأتراك في الكتابة والخط، أيعقل استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية بدعوى أنها أكثر تيسيرا وتماشيا مع العصر ومتطلباته، كما يزعم الداعون إلى تغيير الكتابة؟! لكننا لانعدم أن نجد من المستشرقين من نظر إلى مسألة كتابة العربية بالحروف اللاتينية نظرا علميا مجردا، فقد عارض (نلّينو) هذا الاقتراح، وبنى معارضته على أسباب منها:٢٥إن الخط العربي موافق لطبيعة اللغة العربية، ولو أردنا استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية؛ لتحتم علينا إيجاد حروف جديدة نضيفها إلى الأبجدية اللاتينية الحالية؛ لكي تعبر عن الأصوات العربية التي تمثلها حروف: (ج،ح،خ،ش،ط،ظ،ص،ض،ع،غ)، ولاحتجنا كذلك إلى التمييز بين الحروف المتحركة الممدودة، والحروف القصيرة. إن الخط العربي يمتاز بميزة فذة، فهو قريب مما يسمى بالاختزال. إن استبدال الخط اللاتيني بالخط العربي يستتبع نتائج خطيرة، فكيف يكون مصير الكنوز العظيمة التي خلفتها الآداب الإسلامية في الدين والعلوم والآداب وغيرها، وكلها مدونة بالخط العربي؟! وقد يظن أحدنا أن مسألة استعمال الحروف اللاتينية في كتابة العربية أصبحت من التأريخ وأنها انتهت بانتهاء أصحابها، لكن الناظر الحصيف يجد أنها تسللت إلى الكتابات العربية من باب آخر هو كتب (علم اللغة) و (فقه اللغة) و(علم الأصوات)؛ إذ استعمل جمع من اللغويين العرب الحروف اللاتينية للتعبير عن الكتابة الصوتية للكلمات العربية، وقد غصت معظم الكتب المؤلفة في هذا المجال بهذا الأمر، فهذا الدكتور بسام بركة يفضل الرأي القائل بضرورة استعمال نظام الكتابة الصوتية العالمية القائمة أساسا على الحروف اللاتينية، ويسوغ ذلك بقوله: ((ورغم أن بعض الباحثين يفضلون استعمال الرموز التي يمكن طباعتها على الآلة الكاتبة، فإن هذا النظام الكتابي انتشر _ولا يزال_ في أوساط العلماء اللسانيين. ويعني هذا الانتشار الواسع للألفباء الصوتي العالمي أنه أفضل الوسائل المتداولة وأكملها لتدوين الأصوات اللغوية. وهو النظام الرمزي الذي اتبعنا في دراسة الصوت اللغوي في هذا الكتاب)).٢٦وأول من تبنى هذه الدعوة المستشرق الألماني برجستراسر، يقول الدكتور حسام النعيمي: ((كان المستشرق الألماني برجستراسر من أوائل من استعمل الحروف اللاتينية بزياداتها للتعبير عن الأصوات العربية، وذلك في محاضراته التي طبعت عام ١٩٢٩ بعنوان التطور النحوي للغة العربية، مؤثرا إياها على الحروف العربية، علما أنه نبه على أن كلا من الحروف العربية واللاتينية لا تعبر عن الأصوات التي يراد إيرادها جميعا، ثم رضي التغيير والزيادة في الحرف اللاتيني تعبيرا عن الصوت، ولم يحاول مثل ذلك في الحرف العربي، والأمر في الحالتين لا يعدو كونه اصطلاحا صوتيا)).٢٧ويقول الدكتور غانم قدوري الحمد: ((ولا يصعب على الدارس معرفة سبب لجوء علماء اللغة الغربيين إلى الكتابة الصوتية الدولية في بحوثهم، فقد كانوا يواجهون كتاباتهم القومية

القاصرة أولا، وحاجتهم إلى وسيلة لدراسة لغات الشعوب التي استعمرتها دولهم في العصر الحديث ثانيا. لكن الدارس قد يجد صعوبة في تعليل لجوء كثير من الدارسين لأصوات العربية في العصر الحديث إلى رموز الكتابة الصوتية الدولية المعقدة والغريبة على القارئ العربي، وهم يتعاملون مع أصوات تعبر عنها حروف الكتابة العربية خير تعبير!)).٢٨ قد انبرى لذلك جمع من أهل العلم باللغة ممن وقف كتبه وبحوثه على ذلك، فقد دعا الدكتور محمود السعران _رحمه الله_ إلى تبني كتابة صوتية تناسب العربية، فقال((فلا بد من أن يصطلح العلماء المختصون عندنا على (ألف باء صوتية) يصلح استعمالها عند دراسة العربية، وعند دراسة سواها من اللغات، وعند الكتابة في الميدان اللغوي بوجه عام)).٢٩ ورأى الدكتور داود عبده أن الحروف العربية وافية وصالحة للكتابة الصوتية، قال: ((ومن أجل هذا كله، فقد لجأت إلى كتابة الحروف العربية بطريقة تسمح بتجنب المساوئ السابقة، وتجعل هذه الحروف صالحة للدراسة الصوتية، بحيث يكون لكل صوت لغوي رمز، سواء في ذلك الصحاح والعلل الطويلة والعلل القصيرة. أما الرموز التي لا تمثل أصواتا فتحذف، وتكتب الرموز متوالية على السطر بالترتيب الذي تلفظ فيه، ويكون للصوت المشدد رمزان متواليان)).٣٠ وانتهى الدكتور حسام النعيمي إلى ((أن في اصطناع الرسم العربي ما يتفق وخصوصية لغتنا)).٣١ ومما قاله أيضا: ((ونحن لا نريد أن نغير الرموز الصوتية الدولية وأن نستبدل بها رموزا من عند أنفسنا، إلا أننا في الوقت نفسه لا نريد أن نقر استعمال رموز رومانية [لاتينية] لأصوات لعل العربية قد اختصت بها، أو لعلها وضعت لها رموزا أيسر مما في رموز الكتابة الدولية ... ولا نجد أي معنى لأن يستخدم الأصواتي العربي الحروف الرومانية وهو يوجه كتابه إلى أكثر من مئة مليون لهم رموزهم الكتابية الموحدة غير الرومانية ...)).٣٢

ب_ تيسير العربية:

تعد هذه المسألة مظهرا تغريبيا آخر، وهو في حقيقته أمر مكمل للدعوة إلى الكتابة بالحروف اللاتينية، فقد اقترح أحمد لطفي السيد _ وهو من المتأثرين بالفكر الغربي ودعاته _ إبدال الحروف محل الحركات، فتكتب (ضَرَبَ) على هذا النحو (ضارابا)، واقترح أيضا إثبات التنوين برسمه في الكتابة، فتكتب (سَعْدٌ) هكذا (ساعدون) بالرفع، و (سَعْدا) هكذا (ساعدان) بالنصب، و (سَعْدٍ) هكذا (ساعدين) بالجر.[٣٣] وأثارت هذه الدعوة ردود فعل قوية اتسمت بالواقعية والموضوعية، منها مقال كتبه طاهر أحمد الطناحي عنوانه (هل يمكن إصلاح الحروف العربية؟) عرض فيه الأصول الأولى للكتابة، فذكر أنه منقول عن السريانية والنبطية، عن الآرامية، عن الفينيقية، ثم تكلم على التجويد والتحسين والتجميل الذي أدخله عليه كبار الخطاطين منذ (قطبة) في العصر الأموي، ثم (ابن مقلة) ثم (علي بن هلال) إلى (ياقوت الرومي المستعصمي) المتوفى سنة٦٩٨هـ، ثم تكلم عن شكل الحرف بعد أن اختلط العرب بالعجم فكثر اللحن، ثم قال: ((انتشرت الحروف العربية بانتشار

الحضارة الإسلامية، وكتبت بها اللغات التركية والفارسية والأوردية والأفغانية والكردية والتترية والمغولية والبربرية والسودانية والزنجية الساحلية، كما كتبت بها لغة أهل الملايو وغيرهم ممن يبلغون ٢٥٠ مليونا، ما عدا نحو تسعين مليونا يكتبون اللغة العربية بالخط العربي، وقد دونت هذه الأمم كلها آدابها وتأريخها وعلومها وفنونها بالخط العربي أو الخط المنقول عن العربية، فهل يمكن إصلاح الحروف العربية بعد هذا التطور الذي انتهت إليه الحضارة الإسلامية؟!)).[٣٤] وفي العراق ظهرت مجموعة من دعاة الكتابة بالحروف اللاتينية، وإصلاح الخط العربي، منهم: منير القاضي (تهيأت له فرصة الصدارة في المجمع العلمي العراقي)، ومتي عقراوي، ويونس عبد الرزاق السامرائي، وداود الجلبي، وعبد الله الصراف، وعبد الجبار الوائلي، وهاشم الحلي، وإبراهيم الملا موسى، ومحمد سعيد الصكار، فصل القول في ذكرهم وذكر بحوثهم ، وفي الرد عليهم الدكتور رشيد العبيدي في بحث قيم له.[٣٥] وقد تعلق دعاة إصلاح الخط العربي بعدم مطابقة الصوت المسموع للصورة المقروءة في اللغة العربية، وهذه دعوى باطلة؛ ((فما من شعب على هذه الأرض إلا وهو يتكلم خلاف ما يكتب؛ إذ إن من الحقائق المقررة أن يكون هناك دائما مسافة بين لغة الحديث، ولغة الفكر والكتابة، تعرف ذلك كل لغات الدنيا، حية أو نصف حية)).[٣٦]ويظهر لكل من اطلع على علم اللغات العام أن هذا التعلق في اللغة الإنكليزية وفي الفرنسية أوضح منه في العربية، ذلك أنَّ تطبيق المنهج التقابلي في علم اللغة الحديث على اللغات، بغية تعليمها لغير الناطقين بها قد كشف لنا عن صعوبات جمة في طريق المتعلمين، تبين لنا مقدار العنت والصعوبة في هذه اللغات، ولاسيما الإنكليزية والفرنسية.ويمكن تعريف هذا المنهج بأنه: ((المقابلة بين لغتين اثنتين أو لهجتين اثنتين، أو لهجة ولغة، أي بين مستويين لغويين متعاصرين))[٣٧]، وأما هدفه؛ فهو إثبات الفروق بين المستويين[٣٨]، ((ويشترط في اللغتين أو اللهجتين اللتين يقابل بينهما هذا المنهج أن يكونا قد وُصِفا وَصْفًا دقيقا بمنهج لغوي واحد، ليسهل على المقابل أن يهتدي إلى الفروق بينهما في مختلف عناصر بنيتهما الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية)).[٣٩]وقد أثبتت المقابلة بين اللغة العربية والفرنسية والإنكليزية عن فروق في الأصوات والمفردات والتراكيب، كانت الصعوبة في هاتين اللغتين الأخيرتين أوضح فيهما من العربية. فالفرنسي _مثلا_ يسقط من النطق أربعة أحرف من أواخر الكلمات في كثير من الأحيان، والإنكليزي يفعل ذلك في حرف مثل حرفي (H) و (O) في (Honour) وحرفي (gh) في (Right) وفي (through)، وهو بعد ذلك يكتب الصوت الواحد في ست صور أحيانا مثل الياء التي تصور الكسرة الطويلة في مثل (كبير) إن هذا الصوت يكتب في الإنكليزية على ست صور متعددة، لا يميز إحداهما عن الأخرى منطق ولا قاعدة، وهي: (y–e–e,ie–ei–ea–ee) بينما لا يكتب في العربية إلا ياء، وحرف الكاف لا يكتب في العربية إلا كافا، وهو يكتب في الإنكليزية على صور متعددة هي (ch–g–ck–k–c)، وحرف الفاء لا يكتب

في العربية إلا فاء وهو يكتب في الإنكليزية(ph–f–gh)، وقس على ذلك ما لا سبيل إلى إحصائه من الأمثلة العديدة في مختلف الأصوات. ثم إن لكل صوت في العربية حرفا واحدا يصوره، وبعض الأصوات اللغوية لا يصورها إلا حرفان في الإنكليزية، مثل حرف الشين العربي، الذي يقابله بالإنكليزية (sh)، وحرف (ذ) الذي يقابله حرف (th). وميزة في الكتابة العربية وهي أن الحرف لا يقرأ إلا على صورة واحدة، وليس كذلك الحرف الإنكليزي، فحرف (c) ينطق (س) حينا، وينطق (ك) حينا آخر، و(th) ينطق (ذ) حينا، وينطق (ث) حينا آخر.[٤٠] وأما على صعيد المفردات؛ فنحن واجدون ((في الإنجليزية كلمة uncle دالة على العم أو الخال أو زوج العمة أو زوج الخالة دون التفريق بين هذه الدلالات كلها. والكلمة الإنجليزية aunt لها المعاني التي ذكرت ولكنها للمؤنث. وكلمة nephew الإنجليزية لابن الأخ أو الأخت وكلمة niece الإنجليزية لابنة الأخ وابنة الأخت. كل ذلك دون تفريق بين ما يعزى إلى المؤنث وما يعزى إلى المذكر، بعكس العربية التي تضع الدلالات المختلفة للمدلولات المختلفة، وتفرق بين ما كان راجعا في قرابته إلى المذكر وما كان راجعا إلى المؤنث)).[٤١] وعلى مستوى التركيب ثمة فرق مهم بين العربية من جانب، والفرنسية والإنجليزية من جانب آخر، ذلك أن العربية لغة معربة، بخلاف اللغتين الأخريين، وينبني على ذلك أن ترتيب الكلمات في العربية لا أثر له ما دامت الكلمات معربة، وليس القصد بذلك الأثر البلاغي، بل المقصود المعنى المجرد، فليس هناك إبهام إذا أخرنا الفاعل وقدمنا المفعول به، كما في قوله تعالى: (إنما يخشى الله من عباده العلماء)[٤٢] وقول صاحب الألفية: (خاف ربه عمر)، أما في الإنكليزية والفرنسية؛ فإن ترتيب الكلمات وموقع كل كلمة هما اللذان يحددان معنى الجملة.[٤٣]وما برح دعاة التغريب يَدَّعون أن العربية معقدة وصعبة التعلم؛ لصعوبة قواعدها، ومن ثَمَّ فهي غير صالحة لمسايرة العصر، وقد جَرَّت هذه الدعوى إلى عمل تغريبي هدفه الإجهاز على العربية، حتى ساد ((بين جمهرة المثقفين العرب شعور مُدَمِّر بأن لغتنا الجميلة العربية الفصحى، لغة معقدة القواعد، صعبة التعليم، كثيرة الشذوذ في مسائلها وقضاياها، بحيث تجعل من تعلمها، أو استخدامها والتحدث بها، عبئا ثقيلا على أهلها. ولقد انتهز المغرضون هذه الفرصة، وأخذوا يتصيدون في الماء العكر، ويدعون إلى استخدام العامية، وهجر الفصحى، أو خلطها بالعامية، وهي دعوة حمل لواءها منذ فترة طويلة، المعادون للإسلام وأهله)).[٤٤] وقد سار في هذا الركب من لم تخلص نيته تجاه لغة القرآن ومن خلصت، لكنه لم يفقه المسألة على حقيقتها، يقول الدكتور محمد الدالي: ((وأما ما كتب في باب تيسير العربية؛ فهو بعيد عما نريد. وإن أحسنا الظن بكثير ممن كتب في ذلك لم تكن رغبته الصادقة ولا نيته الصالحة كافيتين ليكون عمله صالحا. وأكثرها قائم على تصور جزئي شائهٍ في بعض جوانبه، ولم يصدر عن تصور شامل للغة وأوضاعها، وإنما بني على أحكام جزئية وفهم قاصر واطلاع قليل على مسائل العربية واختلاف النحويين في تأويل بعض أساليب العرب في

كلامها)).[٤٥] ((واللغة، أية لغة ليست هي القدر الذي يتحدث به الناس، فلغة الحديث لا تمثل أكثر من ٥% من حجم اللغة المكتوبة، والمجموعة في المعاجم والقواميس، فلو أننا ألغينا ما يكون من الفصحى في الألفاظ والتراكيب، لما بقي لنا شيء فيما يسمى بلغة الحديث، ولكانت أزمة هائلة تؤدي إلى أبشع عملية تخريب حضاري، كما أراده، ويريده أعداء مصر والعروبة والإسلام)).[٤٦]

وليس الضعف الذي نراه على ألسنة الناطقين بالعربية اليوم نتيجة صعوبة تعلم العربية، بل هو نتاج السياسة التعليمية التي هي ثمرة المنهج التعليمي الغربي المفروض على معاهدنا العلمية، ((لقد أفق عصرنا في إيصال القاعدة اللغوية إلى أبناء العربية، فلم تتبع طرائق الأقدمين وقد أثبتت نجاحا تمثل في آلاف العلماء والأدباء الذين أتقنوا العربية إتقانا حتى صار عسيرا التمييز بين رجل العلم ورجل الأدب لغة أو بيانا، وكذلك أضاع المحدثون طرائق التعليم اللغوي الحديث، وقد أثبتت نجاحا في ديار الشرق والغرب، وصار الأمر مألوفا هناك، فلا استهانة باللغة ولا تملص من أصولها أو حدودها المرسومة الملزمة)).[٤٧] يقول الدكتور عبد الصبور شاهين: ((الحديث عن صعوبة العربية حديث عن وهم لاحقيقة له، فكل لغات الدنيا عبارة عن كلمات، وتراكيب من هذه الكلمات، ولكل كلمة مدلول أو عدة مدلولات، وعلاقة الفرد باللغة هي علاقة التلقي عن الجماعة بالحفظ والتدريب)).[٤٨] فأي حجة بعد هذا وأي داع لدعاة التغيير، غير مسايرة أهداف الحضارة الغربية بشقها السلبي، وتنفيذ مخططات المستعمرين الغزاة، فهل نحن معتبرون؟!

ج_ الدعوة إلى العامية:

وهذا مظهر تغريبي آخر يراد به تغريب المنظومة اللغوية العربية؛ ليتم لدعاته تجزئة الوطن العربي الكبير إلى دويلات عرقية أو طائفية أو مذهبية بغية السيطرة الكاملة على الأرض العربية من جهة، وتهجير العربي عن أرضه أو إفنائه من جهة أخرى، وصولا إلى السيطرة على المسلمين كافة، وضرب العروبة والإسلام ضربة قاضية؛ لأن العربية هي لغة العرب ولغة الإسلام... إنها لغة القرآن. لذلك كله فقد باشر الإنكليز الدعوة إلى العاميات وعاونهم بعض المستشرقين والمستغربين، وبعض المغفلين من العرب والمسلمين ممن لم يفقه غاية هذه الدعوة الخبيثة الهدامة[٤٩].وأولى الخطوات العملية في هذا الاتجاه كانت في أواخر عام ١٨٨١م حين أخرج المستشرق الألماني ولهلم سبيتا_ وهو أمين دار الكتب المصرية _ كتابه (قواعد اللغة العامية في مصر)، ودعا رجال الفكر إلى بحث كتابه ومناقشته، واستجابة لدعوته اقترحت مجلة المقتطف _ الممالئة للإنكليز _ أن تكتب العلوم بلغة الحديث العادي [٥٠].وثارت المسألة عنيفة مرة أخرى عام ١٩٠١م حين أخرج (ولمور) كتابا سماه (لغة القاهرة) واقترح لهذه اللغة العامية القواعد. كما اقترح أن تتخذ لغة للعلم والأدب، وأن تكتب بالحرف اللاتيني. وأشادت مجلة المقتطف بهذا الكتاب بوصفه تلبية لدعوتها القديمة، فهاج الناس وحملت الصحف على هذه الدعوة وعدوها مقصودة لمحاربة

الإسلام في لغته.[٥١] ويدعو انكليزي آخر، كان مهندسا للري في مصر _ وهو السير وليم ولكوكس _ سنة ١٩٢٦م إلى هجر اللغة العربية، والترويج للعامية؛ لتتمكن من إقصاء الفصحى، واحتلال مكانها في ميدان الأدب والكتابة، وخطا بهذا الاقتراح خطوة عملية، فترجم أجزاء من الإنجيل إلى ما سماه (اللغة المصرية)، وبتأليفه كتابه(الأكل والإيمان) بالعامية، ومضى يؤيدها نظريا في رسالته: (سوريا ومصر وشمال إفريقية ومالطة تتكلم البُونِيَّة لا العبرية).[٥٢] ونوه سلامة موسى بالسير ولكوكس وأيده، ودعا إلى العامية والكتابة باللاتينية وساق جملة من الشبه لا تصمد أمام البحث العلمي.[٥٣] فثارت لذلك ثائرة الناس من جديد، وعاودوا مهاجمة الفكرة والتنديد بما يكمن وراءها من الدوافع السياسية، ولكن الدعوة استطاعت أن تجتذب نفرا من دعاة الجديد في هذه المرة من أمثال: عيسى إسكندر المعلوف، وعبد العزيز فهمي، وطه حسين، وغيرهم ((من اللبنانيين والمصريين الحاقدين على الإسلام، وكانت صيحاتهم لهدم المواريث الأولى لا ينقطع صداها، وتدبر ما قاله سلامة موسى في كتابه اليوم والغد : الرابطة الشرقية سخافة، والرابطة الدينية وقاحة، والرابطة الحقيقية هي رابطتنا بأوربا. والرابطة الحقيقية عند هؤلاء الذوبان المنشود في أوربا وطرح الإسلام والعربية ووجود نابتة مهجنة تستخف بتكاليف الإيمان وأواصر الفصحى))[٥٤]. ثم بدا أن الدعوة زاد انتشارها، حين اتخذت اللهجية (السوقية) في المسرح الهزلي، ثم انتقلت إلى المسرح الجدي حين تجرأت عليه وقتذاك فرقة تمثيلية تتخذ اسما فرعونيا وهي فرقة (رمسيس) ولقيت رواجا عند الناس، وظهرت السينما من بعد فاتخذت هذه اللهجة، ولم يعد للعربية الفصحى وجود في هذا الميدان، ثم ظهرت اللهجة السوقية التي تسمى بالعامية في الأدب المكتوب، فاستعملها كثير من كتاب القصة في الحوار، كما في رواية زينب لمحمد حسين هيكل ١٩١٣م.[٥٥] ولم يكن ذلك كل ما كسبته الدعوة الجديدة التي ابتدعها الإنكليز وعملاؤهم، بل استطاعت أن تتسلل إلى الحصن الذي قام لحماية اللغة العربية الفصحى والمسمى بمجمع اللغة العربية، فظهرت في مجلته الناطقة باسمه سلسلة من المقالات عن اللهجة العربية العامية كتبها عضو من أعضاء هذا المجمع هو عيسى إسكندر معلوف، وإن مما يدعو إلى العجب حقا أن يختار المجمع لعضويته رجلا معروفا بعدائه الصريح العربية، وهو عداء عريق ورثه عن أبيه الذي أعلنه وجهر به حين سجله في مقال له نشرته (الهلال) سنة ١٩٠٢م دافع فيه عن اللهجات السوقية. وقد أكد هذا المقال أن اختلاف لغة الكتابة هو من أهم أسباب تخلفنا الثقافي، وزعم أنه من الممكن اتخاذ لهجة عامية لغة للكتابة، كالمصرية، والشامية.[٥٦] وقد تولى كبر هذه القضية فيما بعد لطفي السيد ولويس عوض وغيرهما.وما تزال هذه الدعوى تتكرر بين آن وآن بأقلام عربية، كمحاولات سعيد عقل في دعوته إلى العامية اللبنانية بالحروف اللاتينية، وتجرأ فكتب بالعامية اللبنانية في مقدمته لديوان شعري، وكذلك ما دعا إليه أنيس فريحة إلى استخدام العامية وتغيير الخط العربي.[٥٧] وتعد هذه الدعوة من

أخطر الدعوات التي تستهدف الدين والأخلاق، ((ولكن الأمل في إنقاذ الجيل القادم يظل كبيرا، ما دام القرآن حيا مقروءا، وما دام الناس يتذوقون حلاوة أسلوبه وجمال عباراته))[٥٨]، وفضلا عن ذلك ترمي هذه الدعوة إلى الحكم على القرآن ((بأن يصبح أثرا ميتا، كأساطير الأولين، التي أصبحت حشو لفائف البردي، أو بأن يصبح أسلوبا عتيقا باليا بتحويل أذواق الأجيال الناشئة عنه، وتنشئتهم على تذوق ألوان أخرى من الأساليب المستجلبة من الغرب)) [٥٩]، وهيهات هيهات؛ لأن الله تعالى يقول: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ).[٦٠]وقد أبطل المدافعون عن العربية مزاعم خصومها كلها، فأبرز خليل اليازجي في رده على اقتراح المقتطف سنة ١٨٨١م نقطتين:[٦١]

أولهما: أن اتخاذ العامية لغة للكتابة فيه هدم للآثار العربية بأسرها، وإضاعة لكثير من جهود الآخرين.

وثانيهما: أن عامة الناس وجهالهم يفهمون العربية الفصيحة ويتذوقونها على غير ما يدعيه خصومها.وكان لأديب العربية مصطفى صادق الرافعي دفاع في معظم كتاباته عن اللغة العربية، وجرت معارك أدبية من أجل ذلك تمخض عنها سلسلة من النقاط التي تقطع بحتمية استعمال اللغة العربية واستحالة استبدالها بالعامية، منها:[٦٢]إن المسلمين لا يستغنون عن الفصحى لمطالعة القرآن والحديث وسائر كتب الدين.إن اللغة العربية ليست غريبة عن أفهام العامة، إلا إذا أريد التقعر واستخدام الألفاظ الغريبة. أما لغة الإنشاء العصرية؛ فهي شائعة في الصحف يفهمها الخاص والعام. لا يجوز قياس العربية على اللاتينية؛ لأن الفرق بين اللاتينية وفروعها أبعد كثيرا من الفرق بين العربية وفروعها العامية.إن الذاهبين إلى أن تتخذ كل أمة لهجتها العامية هم القائلون بانحلال العالم العربي، وتشتيت شمل الناطقين بالعربية.استطاعت العربية أن تساير الحضارة في بغداد، ولم تنهزم أمام الفارسية أو اليونانية أو التركية، واستطاعت أن تسايرها في الأندلس، واستطاعت أن تساير ألوانا من الحضارات في خلال ثلاثة عشر قرنا أو أكثر في بيئات متباينة أشد التباين. وصمدت العربية أمام الغارات المدمرة وخلال الاحتلال الأجنبي الطويل، في الوقت الذي لم تلق فيه من الاهتمام والرعاية بالقياس إلى حجم التحديات التي شهدتها، ويعود سر دوامها إلى حفظ الله تعالى لها، على أن لا يفهم فهما ظاهريا فقط؛ بل يجب أن يتحلى أهل العربية بواجب الدفاع عنها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

الخاتمة:

١. إنَّ فشل الاستعمار في تحقيق أهدافه عن طريق القوة العسكرية جعله يصوب سهامه إلى تراث الأمة ولغتها ودينها ومقوماتها الفكرية والحضارية عن طريق وسيلتين هما: (التبشير) و (الاستشراق).

٢. يتلخص مفهوم التغريب بأنه: حركة موجهة لصبغ الثقافة الإسلامية والعربية بصبغة غربية، وإخراجها عن طابعها الإسلامي الخالص، واحتوائها على النحو الذي يجعلها تفقد ذاتيتها وكيانها، وتذوب فيما يسمى بـــ (الثقافة العالمية) أو (الفكر الأممي).

٣. شن الاستعمار حربه الضروس على اللغة العربية، فوضع مخططا بالغ المكر والكيد، انتهج من خلاله دعوات تغريبية هدامة؛ لإضعاف اللغة العربية، وتغليب اللهجات العامية والإقليمية عليها، وتشجيعها؛ لغزو العرب والمسلمين عن طريق التعليم المنهجي، والتثقيف العام.

٤. افتتن جمع من مثقفي العرب في عصرنا الحاضر بالحضارة الغربية الوافدة، ورأوا أن اللغة العربية صعبة ومعقدة، وهي عائق يحول بينهم وبين هذه الحضارة، فدعوا إلى تطوير العربية في منظومتها للخلاص من صعوبتها.

٥. تمثل الدعوة إلى استعمال الحروف اللاتينية في كتابة العربية خطرا داهما على لغة القرآن الكريم، تولى كبره مبشرون ومستشرقون جاءوا مع الاستعمار، وساهم هؤلاء في تربية خلفاء لهم من بني جلدتنا ممن أعمى الله بصائرهم، عرفوا من بعد بـــ (المستغربين).

٦. تسللت الدعوة إلى استعمال الحروف اللاتينية في كتابة العربية إلى الكتابات العربية من باب آخر هو كتب (علم اللغة) و (فقه اللغة) و(علم الأصوات)؛ إذ استعمل جمع من اللغويين العرب الحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية؛ للتعبير عن الكتابة الصوتية للكلمات العربية، وقد غصت بهذا معظم الكتب المؤلفة في هذا المجال.

٧. يرى دعاة التغريب أن العربية معقدة وصعبة التعلم؛ لصعوبة قواعدها، ومن ثَمَّ فهي غير صالحة لمسايرة العصر، وقد أثبتت المقابلة بين اللغة العربية والفرنسية والإنكليزية عن فروق في الأصوات والمفردات والتراكيب، كانت الصعوبة في هاتين اللغتين الأخيرتين أوضح فيهما من العربية.

٨. تمثل الدعوة إلى العامية خطرا داهما على لغة القرآن يراد به تغريب المنظومة اللغوية العربية؛ ليتم لدعاته تجزئة الوطن العربي الكبير إلى دويلات عرقية أو طائفية أو مذهبية بغية السيطرة الكاملة على الأرض العربية من جهة، وتهجير العربي عن أرضه أو إفنائه من جهة أخرى، وصولا إلى السيطرة على المسلمين كافة، وضرب العروبة والإسلام ضربة قاضية.

ثبت المصادر:

- أباطيل وأسمار، محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٥م.
- الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، د.محمد محمد حسين، دار الإرشاد، بيروت، ١٣٨٩هـ-١٩٧٠م.

- الإسلام والحضارة الغربية، د.محمد محمد حسين، دار الرسالة، المملكة العربية السعودية، ط٩، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- أصوات العربية بين التحول والثبات، د.حسام سعيد النعيمي، دار الكتب، جامعة الموصل، ١٩٨٩م.
- أضواء على الثقافة الإسلامية، د. نادية شريف العمري، مؤسسة الرسالة، ط ١،١٤٢١هـ _٢٠٠١م.
- أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، د.سيد بن حسين العفاني، ماجد عسيري للنشر، السعودية.
- البلاغة العصرية واللغة العربية، سلامة موسى، ط١، ١٩٤٥م.
- تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، محمد الغزالي، الدار العربية للعلوم-المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط٤، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.
- ثورة الإسلام، أحمد زكي أبو شادي، دار ومكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
- جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر، جمعها وقرأها وقدم لها: د.عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي-القاهرة، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث-دبي، ط١، ٢٠٠٣م.
- جمهرة مقالات العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر، جمعها: عبد الرحمن بن عبد العزيز العقل، دار الرياض، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث، د.محمد ضاري حمادي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١م.
- الحصائل في علوم العربية وتراثها، د.محمد أحمد الدالي، دار النوادر، بيروت، ط١، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
- حصوننا مهددة من الداخل، د.محمد محمد حسين، دار الرسالة، المملكة العربية السعودية.
- دراسات في علم أصوات العربية، د.داود عبده، مؤسسة الصباح، الكويت، د.ت.
- دراسات في علم اللغة، د.فاطمة محمد محجوب، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
- عالمية الإسلام، أنور الجندي، دار المعارف، القاهرة، سلسلة اقرأ.
- علم الأصوات العام، د.بسام بركة، مركز الإنماء القومي، بيروت، ١٩٨٨م.
- علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، د.محمود السعران، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.
- علم اللغة العربية، د.محمود فهمي حجازي، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٣م.
- غزو في الصميم، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط٤، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- فصول في فقه العربية، د.رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٦، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- فضل العربية ووجوب تعلمها على المسلمين، أبو عبد الله محمد بن سعيد رسلان، دار الفرقان المصرية، مصر، ط٤، ١٤٣١هـ-٢٠١٠هـ.
- في علم اللغة العام، د.عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٠هـ_١٩٨٠م.
- لماذا يدعون إلى تغيير الحرف العربي ، د.رشيد العبيدي، (بحث)، مجلة الضاد، ج٣، ذو الحجة ١٤٠٩هـ-

- المدخل إلى علم أصوات العربية، د.غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان، ط١، ١٤٥٢هـ_٢٠٠٤م.
- مستقبل الثقافة في مصر، د.طه حسين، دار المعارف، القاهرة ، ط٢، د.ت.
- مقالات الإسلاميين في الأدب والنقد، د.أحمد الرفاعي شرفي، دار ابن حزم، ط١، ١٤٣٠هـ-
- مقالات ونقاشات في اللغة، د.عصام نور الدين، دار الصداقة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
- المقدمة، ابن خلدون، دار الهلال، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
- مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة، د.نعمة رحيم العزاوي، مطبعة المجمع العلمي، بغداد،
- نحو وعي لغوي، د.مازن المبارك، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٩م.
- اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار، أنور الجندي، دار الاعتصام، القاهرة.
- اليوم والغد ،سلامة موسى، منشأة المعارف ،الطبعة الثانية ،الإسكندرية، ١٩٦٦م.

هوامش البحث

[١] المقدمة ، ابن خلدون ، ١٦٢/١.

[٢] في علم اللغة العام ، د. عبد الصبور شاهين ، ٢٦٧_٢٦٨.

[٣] اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار ، أنور الجندي ، ١٩١.

[٤] عالمية الإسلام ، أنور الجندي ، ١٠٥ .

[٥] عالمية الإسلام ، ١٠٥ .

[٦] غزو في الصميم ، عبد الرحمن الميداني ، ٤١ .

[٧] ينظر : اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار ، ١٤٢.

[٨] ينظر : اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار ، ١٨١.

[٩] أضواء على الثقافة الإسلامية، د. نادية شريف العمري ، ٢٢٦.

[١٠] اليوم والغد ، سلامة موسى ، ٤٣.

[١١] مستقبل الثقافة في مصر، ٩٨. يعد طه حسين من أركان دعاة التغريب، وتتمثل دعوته التغريبية في كتابين له، هما: (في الشعر الجاهلي) و(مستقبل الثقافة في مصر).

[١٢] ينظر : فضل العربية ووجوب تعلمها على المسلمين ، أبو عبد الله محمد بن سعيد رسلان ، ٢٣١ _٢٣٢.

[١٣] في علم اللغة العام ، ٢٥٤.

[١٤] مقالات ونقاشات في اللغة ، د. عصام نور الدين ، ٢٨.

[١٥] ينظر : غزو في الصميم ، ٣٩ .

[١٦] ينظر ثورة الإسلام: ٥٧.

[١٧] ينظر مستقبل الثقافة في مصر ، ٣٢.

[١٨] دراسات في علم اللغة ، د. فاطمة محمد محجوب ، ١٤١.

[١٩] دراسات في علم اللغة ١٤١.

[٢٠] البلاغة العصرية واللغة العربية ، سلامة موسى ، ص١٤١.

[٢١] البلاغة العصرية واللغة العربية ، ص١٣٩.

[٢٢] ينظر : جمهرة مقالات العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر ، ١/ ٤٤٧ وما بعدها وجمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر ، ٢٥٨/١ وما بعدها.

[٢٣] ينظر : أباطيل وأسمار ، محمود محمد شاكر ، ١٥٧.

[٢٤] في علم اللغة العام ، ٢٦٨.

[٢٥] ينظر : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، د. محمد محمد حسين ٣٨١/٢ وفضل العربية ووجوب تعلمها على المسلمين ٢٢٤_٢٢٥.

[٢٦] علم الأصوات العام ، د. بسام بركة ، ١٦٤.

[٢٧] أصوات العربية بين التحول والثبات ، د. حسام سعيد النعيمي ، ٩٥.

[٢٨] المدخل إلى علم أصوات العربية ، د. غانم قدوري الحمد ، ٣١.

[٢٩] علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي) ، د. محمود السعران ، ١٢٢.

[٣٠] دراسات في علم أصوات العربية ، د. داود عبده ، ١١.

[٣١] أصوات العربية بين التحول والثبات ، ١٠١.

[٣٢] أصوات العربية بين التحول والثبات ، ٩٢_٩٣.

[٣٣] ينظر الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، ٣٨٠/٢.

[٣٤] الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، ٣٧٩/٢.

[٣٥] ينظر : لماذا يدعون إلى تغيير الحرف العربي ، د. رشيد العبيدي ، ٧٥ وما بعدها.

[٣٦] في علم اللغة العام ، ٢٧١.

[٣٧] علم اللغة العربية ، د. محمود فهمي حجازي ، ٤١.

[٣٨] ينظر :المصدر نفسه .

[٣٩] مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة ، د. نعمة رحيم العزاوي ، ٢٠٤.

[٤٠] ينظر : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، ٣٦٦/٢.

[٤١] مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة ، ٢٠٩_٢١٠.

[٤٢] فاطر : ٢٨.

[٤٣] ينظر : مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة ، ٢١٣.

[٤٤] فصول في فقه العربية ، د. رمضان عبد التواب ، ٤١٥-٤١٦.

[٤٥] الحصائل في علوم العربية وتراثها، د. محمد أحمد الدالي ، ١٦٨/١.

[٤٦] في علم اللغة العام ، ٢٧١.

[٤٧] حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث ، د. محمد ضاري حمادي ، ٦.

[٤٨] في علم اللغة العام ، ٢٧١.

[٤٩] ينظر : مقالات ونقاشات في اللغة ، ٢٨.

[٥٠] ينظر : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، ٢ /٣٥٩ وأباطيل وأسمار ، ١٣٧.

[٥١] ينظر : مقالات الإسلاميين في الأدب والنقد ، د. أحمد الرفاعي شرفي ، ١٠٩/١.

[٥٢] ينظر : فضل العربية ووجوب تعلمها على المسلمين ، ١٣٤_١٣٥.

[٥٣] ينظر: البلاغة العصرية واللغة العربية ، ١١٠_١٣٩.

[٥٤] تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل ، محمد الغزالي ، ١٤٨.

[٥٥] ينظر : أباطيل وأسمار ، ١٣٧.

[٥٦] ينظر : الإسلام والحضارة الغربية ، محمد محمد حسين ، ٨٣.

[٥٧] ينظر : نحو وعي لغوي ، د.مازن المبارك ، ٤٣ وما بعدها.

[٥٨] الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، ٣٨٦/٢.

[٥٩] حصوننا مهددة من الداخل ، محمد محمد حسين ، ٤٨.

[٦٠] الحجر ، الآية ٩.

[٦١] ينظر : أعلام وأقزام في ميزان الإسلام ، د. سيد بن حسين العفاني ، ١٢٣.

[٦٢] ينظر : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، ٣٧٤/٢ .